المقدمة

إذا كان برتراندرسل قد نجح فى استخدام منهج التحليل لدراسة المشكلات الفلسفية التقليدية فى الفلسفة والمنطق، فإن هذا الكتاب سيحاول معرفة مدى تطبيق رسل للمنهج التحليلى فى العلوم الأخلاقية والاجتماعية، ولهذا الكتاب أهميتان:

الأولى : صياغة المنهج التحليلى فى صورة قواعد مرتبة، واضحة وبسيطة وذلك لأن رسل فيما يبدو لم يعط صياغة واضحة للمنهج على طريقة «ديكارت أو بيكون أو هوسرل»، فلقد ترك رسل منهجه التحليلى دون تحديد دقيق له، أو وصف لجوانبه وأبعاده أو توضيح كاف للغايات التى يهدف إليها.

والثانية : تطبيق هذا المنهج على آراء رسل فى الأخلاق الاجتماعية والنظرية، حتى يمكن معرفة اتساق المنهج مع الموضوع. وهل يمكن أن يؤدى المنهج التحليلى إلى نظرة علمية لموضوعات السعادة والتربية والجنس، أم أن قد ينجح فى المنطق وقد لاينجح فى مشاكل العلوم الإنسانية؟ فالمنهج صورى قادر على تحليل الموضوعات الصورية ولكنه يقف عاجزاً عن تحليل الواقع المادى.

وسوف يتناول الكتاب عرضاً لخصائص وخطوات المنهج التحليلى عند رسل ومحاولة تحديد الغايات التى كان يهدف إليها من استخدامه. ثم يعرض لفلسفته الخلقية وتحليله للمذاهب الأخلاقية المختلفة، كما سوف يتناول الكتاب عرضاً لبعض موضوعات الأخلاق الاجتماعية عنده وهى السعادة والتربية والجنس، ثم خاتمة يعرض الكتاب فيها مدى التزام رسل بتطبيق التحليل كمنهج من دراسته لهذه الموضوعات.

ولقد اتبع المؤلف منهجاً نقدياً مقارناً، وتتطلب ذلك عرض لمنهج رسل التحليلى لإبراز ملامحه الأساسية بصفة عامة ولفلسفته الخلقية وآرائه فى الأخلاق الاجتماعية. واعتمد المؤلف فى ذلك على مؤلفات رسل نفسها، كان لا بد من قراءة فاحصة لتحليل هذه المؤلفات لجمع الشبيه إلى الشبيه حتى يسقيم كل موضوع على حده، بصورة تمكن من متابعة رأيه فيما قد تعرض للكتابه فيه، ومن توضيح كيفية تطور بعض أرائه من خلال مقارنتها فى أكثر من عمل من أعماله الفلسفية، كذلك مقارنة طريقة معالجته لموضوعات

الأخلاق الاجتماعية بمنهجه التحليلى وإبراز بعض خصائص التحليل فى طريقة معالجة هذه الموضوعات.

وقد قام الكتاب على افتراض أن رسل باعتباره فيلسوفا تحليلياً ومناصراً للفلسفة العلمية، مستخدم ومطبق لمنهجه التحليلى فى دراسته للأخلاق الاجتماعية حيث يعتبر التحليل منهجاً ملائماً لكل موضوعات الفلسفة ولكل موضوعات الفكر عامة، ففى عرضه لتطور فلسفته قرر: أنه يعتبر التحليل من المصادرات الأساسية التى ظل متمسكاً بها بالرغم من تغير كثير من آرائه الفلسفية. كذلك على فرض عدم التزامه بالمنهج التحليلى فى دراسته للأخلاق الاجتماعية التزاماً صارماً، هل تخلى رسل تماماً عن التحليل كمنهج. أم أن خصائص المنهج كانت تظهر من حين لآخر بطريقة غير مباشرة من خلال دراسته؟ الأمر الذى يمكن تفسيره بأنه لم يهمل تماماً النزعة التحليلية وإن طبيعة موضوعات الأخلاق الاجتماعية قد فرضت عليه عدم الالتزام بقواعد منهجية ثابتة ومحددة. أم أن طبيعة رسل الفلسفية وحبه الجارف للحرية الإنسانيه وعاطفته نحوها قد غلبت عليه. فلم يستطع وضع قيود حول كل ما يتعلق بالإنسان. واعتبر الموضوعات الإنسانية ذات طبيعة مختلفة تماماً عن طبيعة الموضوعات الرياضية والطبيعية التى طبق فى دراستها منهجه التحليلى.

وتمثلت صعوبة تحقيق هذا الغرض فى عدة أمور، منها أن رسل لم يترك تحديداً واضحاً لقواعد وطبيعة منهجه التحليلى وللأهداف التى كان يرغبها من تطبيق هذا المنهج فى دراسته للعلوم الطبيعية والرياضية، وكان يدرس كل ما يوجه للمنهج من نقد وتفسير لأهدافه، يحاول تقديم رد على بعض الاعتراضات، أو يترك بعض التفسيرات للمنهج دون تعليق ويكتفى بعرضها، وأحياناً يسلم بصحة بعض الاعتراضات، الأمر الذى يؤدى إلى صعوبة تحديد المنهج تحديداً واضحاً، وربما يمكن تفسير هذا الموقف لرسل بايمانه بأن ليس هناك من المعارف الإنسانية ما هو صادق صدقاً كلياً. كذلك فى عرضه لنظريته الأخلاقية وللأخلاق الاجتماعية، لم تحوها كتب محددة فجاءت آراؤه متداخلة ومتناثرة فى عدة كتب ومتغيرة من فترة زمنية لأخرى، ولما كانت غزارة الإنتاج الفلسفى من سماته، فإن تتبع آرائه يتطلب جهداً فى جمعها وتبويبها، ومما يزيد دراسة آراء رسل الفلسفية

صعوبة، أنه كان فيلسوفاً لا يتمسك بمعتقدات ثابتة جامدة أو بآراء صلبة، فكان يغير آرائه ومواقفه الفلسفية بصورة دائمة عندما يعيد دراستها ويتضح له عدم صلاحيتها، أو من خلال اسفاره المتعددة ودراسته للوقائع على الطبيعة حتى أنه كثيراً ما كان يغير تمسكه بآراء ومواقف ثبت فشلها عند التطبيق أو يكتشف أنها قد أحدثت منحى آخر غير الذى كان يرجوه من تحقيقها. وأخيراً هناك صعوبة تفرض نفسها عند تقديم تفسير شامل لفيلسوف معاصر، تتمثل فى صعوبة النظر عن بعد وحياد لآرائه ومواقفه لأن ظروف العصر وتطوراته ما تزال تحدث، الأمر الذى يمثل صعوبة تقييم هذه الآراء تقييما كاملاً. كذلك لم تحلل مواقفه وآراءه تحليلاً كاملاً ولم تأخذ حقها من البحث والدراسة كما كان لفلاسفة العصور السابقة.

أما بالنسبة للنتيجة التى انتهى إليها البحث، فهى أنه بالرغم من ظهور بعض خصائص النظرة العلمية فى دراسة رسل للأخلاق الاجتماعية، إلا أن النتائج التى توصل إليها لم تكن حتمية ولازمة من هذه النظرة العلمية، لذلك لايمكن اعتبار رسل قد التزم بتطبيق النظرة العلمية التحليلية فى دراسته للأخلاق الاجتماعية، بل وضح انفصال آرائه فى الأخلاق والسعادة والتربية والجنس عن منهجه التحليلى الذى طبقه فى العلوم الرياضية والطبيعية. لذلك يعد رسل من أصحاب المنهج المزدوج حيث ظهرت عنده ثنائية واضحة فى النظر للحياة الإنسانية، فلقد طبق منهجاً تحليلياً صارماً على العلوم الطبيعية والرياضية أو عالم الطبيعة بوجه عام، ولم يلتزم به فى دراسته لأخلاق الإنسان وقيمه فجاءت آراؤه فى الأخلاق النظرية والاجتماعية غير متسقة مع المنهج.

والواقع أن هناك نقداً يمكن أن يوجه للفرض الذى قام عليه الكتاب، وهو أن رسل كان مدركاً لحدود المنهج التحليلى وطبيعته، لذلك لم يحاول تطبيقه فى دراسته للأخلاق الاجتماعية، إلا أنه من الواضح أن رسل قد ترك منهجه دون تحديد لخطواته وطبيعته وأهدافه، كذلك كان إيمانه واضحاً بأهمية المنهج وباعتباره، ملائماً لكل موضوعات الفكر أو على الأقل مطالباً بتطبيقه بقدر ما تسمح به طبيعة الموضوعات، وفى آرائه المتأخرة نسبيا كما سوف يتضح، قرر أنه مازال متمسكاً ومؤمناً بأهمية التحليل كمنهج. كما يمكن أن ينتقد البحث من حيث غلبة الطابع الأدبى أكثر منه بحثاً فلسفياً، خاصة عند عرض آراء

"رسل" فى موضوعات السعادة والتربية والأخلاق. الواقع أن هذه الصيغة الأدبية ترجع إلى طبيعة تناول "رسل" لهذه الموضوعات وما تميز به من جزالة الأسلوب وميله للأسلوب الأدبى وللعبارات المنمقة فى معظم الأحيان، حيث يمكن وصفه بأن جمع بين جمال الأسلوب وعمق الفكر وأصالته وكان يستخدم أحياناً عبارات أدبية يصعب ترجمتها إلى صيغ وعبارات فلسفية جافة تتفق مع طبيعة البحث الفلسفى، والحقيقة أن رسل فى خلطه الفلسفة بالأدب لم يخرج عن إطار الفلسفة المعاصرة بوجه عام، التى سعت إلى مخاطبة الوجدان إلى جانب مخاطبة العقل. كما يمكن تفسير التعارض بين استخدام "رسل" لمنهج تحليلى تخلص به اللغة من الغموض واللبس ولجوئه للأسلوب الأدبى، بأن ذلك الموقف يعتبر ضمن محاولاته القضاء على الفلسفة التقليدية الجافة أو تلك الفلسفات التى تعتبر صعوبة المعنى وغموضه سمة مميزة للتفلسف.

كما يمكن أن يعاب الكتاب فى تشابه بعض الموضوعات فى عرض آراء رسل وأنه كان من الممكن حذفها بسبب التكرار، إلا أن عمق النظرة التحليلية عند "رسل" قد فرضت عرض بعض الموضوعات وتكرارها حيث كانت يتناولها فى كل مرة باجراء مزيد من التحليل، لتوضيح صلتها بموضوعات جديدة لم تكن واضحة من قبل. والحقيقة ان دراسة آراء رسل الفلسفية تجعل من الصعب صبه فى قالب واحد أو تصنيفه تصنيفاً فلسفياً كلاسيكياً أو تفسيرها تفسيراً كاملاً، لذلك فقد تبين الدراسات فيما بعد نتائج تختلف عن تلك التى توصل إليها البحث، فرسل فيلسوف معاصر ولاتزال آراؤه تدرس وتقيم.